

الجامعات الحكومية في الوطن العربي بين مطرقة الإنترنت وسندان التعليم عن بعد



د. منصور بن عبدالله الزامل
أستاذ المعلومات المساعد
كلية الملك فيصل الجوية

يعد مفهوم التعليم عن بعد من المفاهيم التي أخذت حيزاً واضحاً على الخريطة الأكاديمية للتعليم العالي في كثير من دول العالم. حيث أصبح التعليم عن بعد موردا مهما للجامعات في سبيل التغلب على كثير من المشكلات المادية والأكاديمية على حد سواء. وللتعرف على هوية التعليم عن بعد نجد أن perraton,1988 عرفه على أنه "عزل أو فصل المعلم عن الطالب في الوقت و/أو المكان." كما عرفه Jonassen,1992 على أنه "نظام تعليمي يتحكم الطالب في طريقة التعلم أكثر من معلم". وهو الاتصال غير المتلازم بين المعلم والطالب، يصل بينهما وسائل مطبوعة أو بعض الوسائل التكنولوجية keegan, 1986 .

كما وصف(keegan - 1986) التعليم عن بعد بسبعة صفات هي :

- الفصل بين الطالب والمعلم .
- تأثير المؤسسة التعليمية .
- استعمال وسيلة تقنية .
- استعمال وسيلة اتصال مزدوجة للإرسال والاستقبال بين المعلم والطالب .
- غياب تعليم الطلاب الجامعي.
- المشاركة المنفردة قبل الطالب .
- وبالتالي تخصيص التعليم المنفرد للطالب.

وأول استخدام لمصطلح Distance education ظهر في المجلس الدولي للتعليم بالمراسلة والذي عقد في فانكوفر عام 1982 ليصبح مسمى المجلس مؤخراً المجلس الدولي للتعليم عن بعد.

ولرصد بدايات التعليم عن بعد في العالم العربي، فان بعض الباحثين في هذا المجال يعزوه إلى نظام الانتساب وهو النظام الذي لا يلزم الطالب الجامعي بالحضور ولكن يلزمه بدراسة المقرر الجامعي والاختبار فيه عند نهاية الفصل الدراسي بالحضور إلى الجامعة شخصياً. ولقد ظهر هذا النظام في ظل الافتقار إلى تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة (الحميدي، 1986).

وترجع البداية الحقيقية للتعليم عن بعد بأسلوبه الحديثة والمقنن على المستوى العربي عندما عقد مؤتمر في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية في شهر نوفمبر عام 1979 وذلك لدراسة مدى مناسبة تأسيس جامعة عربية مفتوحة. وكان المؤتمر بتنظيم من الوكالة العربية لمحو الأمية وتعليم الكبار. وقد شارك فيه 31 اختصاصيا عربيا من دول عربية مختلفة وشارك فيه أيضا خبراء من اليونسكو (موقع اليونسكو). وكان من توصيات المؤتمر إنشاء جامعة عربية مفتوحة لتلبي احتياجات عدة بينها :

– مساعدة الجامعات التقليدية في تحقيق أهدافها وبخاصة تلك التي تتحقق بعد.

– تقديم فرصة التعليم لأي طالب يرغب أن يواصل تعليمه مهما كانت الظروف الزمانية أو المكانية التي تعيقه عن إتمام ذلك.

وهناك عدة دراسات عربية تناولت التعليم عن بعد في العالم العربي. من بينها، دراسة (1986humaidyal) والتي تناول فيها الخطوط العريضة لتأسيس جامعة مفتوحة في دول الخليج العربي. والتي خلص فيها إلى أمكانية تأسيس الجامعة المفتوحة في دول الخليج العربي نظرا لتقارب العادات والتقاليد والثقافات لشعوب تلك المنطقة.

كذلك أكد (jamjoom,1980) على استخدام وسائل الإعلام لنقل التعليم إلى طلبة الدراسات العليا في المملكة العربية السعودية. حيث بحثت الدراسة نظام الانتساب في جامعة الملك عبدالعزيز بمدينة جدة، وأوصت بتطوير هذا النظام ليتصف بالشمولية مع وجوب استعمال الوسائل المطبوعة والمسموعة والمرئية لنقل المواد إلى الطلبة.

وفي دراسة أخذت الطابع التقني بوضوح، أجرتها (AKKad,1982) عن القمر الاصطناعي العربي والتعليم المفتوح، دعت الباحثة إلى الاقتداء بما لدى الجامعة المفتوحة في بريطانيا من تقنيات حديثة في هذا المضمار . وقد بينت الجوانب الايجابية للجامعة المفتوحة ومن بينها إمكانية إتاحة التعليم إلى آلاف الطلبة ، كما بينت سلبية ابتعاد الطالب عن مدرسته كنقطة ضعف في التعليم المفتوح.

ومن التجارب العلمية والسباقة في العالم العربي تجربة الجامعة المفتوحة في فلسطين المحتلة والتي شكلت نقطة بداية عملية وانطلاقة حقيقية للتعليم عن بعد في العالم العربي. حيث تبلورت فكرة إنشائها في عام 1975 بعد اجتماع ثلاثة فرق، فريق من منظمة التحرير الفلسطينية وفريق من اليونسكو وفريق من الجمعية العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وبعد عدة اجتماعات ومناقشات أخذت في الاعتبار وضع الشعب الفلسطيني المحتل والأحوال الاقتصادية التي يعانيها تمت الموافقة على تأسيس هذه الجامعة في عام 1980. ولكن لم يبدأ العمل الفعلي إلا في عام 1985 حيث تغير مسماها فيما بعد إلى جامعة القدس المفتوحة (unesco) وبدأت المرحلة الثانية للجامعة وهي مرحلة إعداد برنامجها الأكاديمي ومناهجها في الفترة مابين عام 1985 – 1991 حين أفتتح مقر مؤقت للجامعة في عمان بموافقة رسمية من وزارة الخارجية الأردنية. أما المرحلة الثالثة فقد بدأت في عام 1991 حيث باشرت الجامعة خدماتها التعليمية في فلسطين متخذة من مدينة القدس مقراً رئيسا لها وأنشأت مناطق تعليمية ومراكز دراسية في المدن الفلسطينية الكبرى، ضمت في البداية المئات من الدارسين.

وخرجت أولى دفعة من طلبتها في عام 1997 ووصل عدد طلبتها عام 2000 إلى 25000 طالب (موقع جامعة القدس المفتوحة).

ويعدد (المنيع، 2001) المبررات وراء التحول إلى التعليم العالي المفتوح والتعليم عن بعد، ومنها :

1. مبررات عالمية وتقنية : وهو ما نادت به توصيات مؤتمرات وندوات عالمية كثيرة لزيادة فرص الالتحاق بالتعليم العالي لأفراد المجتمع كافة. ويمكن للتعليم عن بعد أن يؤدي دوراً أساسياً في توسيع نطاق هذه الفرص وتحقيق إنجازات ثقافية أكبر لموطني الدول العربية.

2. مبررات محلية : فتزايد السكان في الدول العربية وتزايد الطلب الاجتماعي على التعليم بجميع مراحله، أصبح التعليم ضرورة ملحة وذلك تلافياً للتورط في المشكلات الاجتماعية الناتجة عن عدم توفر التعليم كالبطالة مثلاً. هذا بالإضافة إلى الحاجة إلى تطوير أداء الموظفين على رأس العمل والحاجة كذلك إلى تأهيل الخريجين العاطلين عن العمل.

ولعل من أهم العوامل التي دفعت الدول العربية إلى إدراك أهمية التعليم عموماً والتعليم عن بعد على وجه الخصوص هو التطور المذهل في تقنيات المعلومات وفي مقدمتها الإنترنت.

ويبرز (الفنتوخ، 1998) المميزات التي شجعت التربويين على استخدام شبكة الإنترنت في التعليم في النقاط التالية :

1. الوفرة الهائلة في مصادر المعلومات.

ومن أمثال هذه المصادر :

- الكتب الإلكترونية (Electronic books).
- الدوريات (periodicals) .
- قواعد البيانات (date bases).
- الموسوعات (Encyclopedias).
- المواقع التعليمية (Educational sites).

2. الاتصال غير المباشر (غير المتزامن) :

حيث يستطيع الأشخاص الاتصال فيما بينهم بشكل غير مباشر ومن دون اشتراط حضورهم في نفس الوقت باستخدام :

- البريد الإلكتروني (E-mail): حيث تكون الرسالة والرد كتابياً.
- البريد الصوتي (Voice-mail): حيث تكون الرسالة والرد صوتياً.

3. الاتصال المباشر (المتزامن):

وعن طريقه يتم التخاطب في اللحظة نفسها بواسطة :

- التخاطب الكتابي (Relay-Chat) حيث يكتب الشخص ما يريد قوله والشخص المقابل يرى ما يكتب في اللحظة نفسها، فيرد عليه بالطريقة نفسها مباشرة بعد انتهاء الأول من كتابة ما يريد .
- التخاطب الصوتي (Voice-conferencing) حيث يتم التخاطب صوتياً في اللحظة نفسها عن طريق الإنترنت.
- التخاطب بالصوت والصورة (المؤتمرات المرئية) (Voice-conferencing) حيث يتم التخاطب حيا على الهواء بالصوت والصورة (الفنتوخ، 1998).

ويرى (فرجاني، 1998) في الورقة التي أعدها بتكليف من مكتب القاهرة لمنظمة اليونسكو، في سياق برنامج المنظمة حول (التعليم عن بعد لدعم التعليم الأساسي في البلدان التسعة الأكثر سكانا) – إمكانية مساهمة التعليم عن بعد في حل مشكلات الاستبعاد من التعليم التقليدي، سواء فيما يتصل بالتعليم قبل المدرسي بوجه عام، أو استبعاد البنات والنساء والمناطق النائية والفئات الفقيرة من مراحل التعليم الأعلى. ومن الممكن، بل صار ملحاً، أن تستثمر أساليب التعليم عن بعد في مكافحة تردي النوعية في التعليم التقليدي من خلال التعليم متعدد القنوات. ومن المميزات المعروفة لبعض أشكال التعليم عن بعد هو انخفاض تكلفتها، الأمر الذي يساعد على استخدامها في البلدان الفقيرة. ويمكن أن تساعد أساليب التعليم عن بعد في التغلب على ندرة المعلمين، خاصة في المناطق النائية، وتوفر أداة فعالة للنهوض بمستوى المعلمين الموهوبين،

سواء في تعليم النشء أو في تدريب عامة المعلمين.
ومن خلال دراسة أجريتها تبين أنه وبعد مسح مواقع الإنترنت للجامعات الحكومية العربية أمكن الوصول إلى الحقائق التالية :

1. هناك فقط أربع جامعات حكومية لديها برامج للتعليم عن بعد عبر الإنترنت. هذه الجامعات هي :
أ. جامعة الملك عبدالعزيز بالمملكة العربية السعودية
www.kau.edu.sa
ب. جامعة القدس المفتوحة في فلسطين www.qou.edu
ت. جامعة أسيوط بجمهورية مصر العربية
www.aun.eun.eg
ث. جامعة حلب بالجمهورية العربية السورية
www.alepuniv.com

2. توصلت الدراسة أيضاً إلى أن استفادة الجامعات العربية من التعليم عن بعد عبر الإنترنت هي استفادة متواضعة جداً ولا ترقى للتطلعات وذلك لوجود أربعة برامج للتعليم عن بعد تتبناها الجامعات العربية على شبكة الإنترنت بالرغم من أن مواقع الجامعات الحكومية التي تم زيارتها 47 موقعاً. هذا العدد المتواضع جداً من البرامج على شبكة الإنترنت يعطي مؤشراً واضحاً بأن الجامعات الحكومية في الوطن العربي لم تستثمر الإنترنت في قطاع التعليم عن بعد. هذا الرافد الذي قد يساعد على استيعاب قدر أكبر من المتقدمين للدراسة في الجامعات.

3. بعد زيارة وتحليل مواقع برامج التعليم عن بعد في الجامعات الحكومية العربية التالية وجد أن برامج التعليم عن بعد بجامعة الملك عبدالعزيز بالسعودية وجامعة القدس المفتوحة لديهما على موقعهما خدمات معلومات متقدمة إلى حد كبير كتقديم المحاضرات على برنامج (Mediaplayer)، وتقديمها على هيئة شرائح باستخدام برنامج (powerpoint).

وفي الختام، أدعو إلى ضرورة تبني الجامعات الحكومية العربية لنظم التعليم عن بعد خصوصاً لما لتلك البرامج من فائدة في استيعاب إعداد المتقدمين والذي يفوق قدرات البرامج التقليدية لتلك الجامعات. كما أنادي بضرورة التوسع الكمي والكيفي للجامعات الحكومية العربية في برامج التعليم عن بعد عبر شبكة الإنترنت واستثمارها شبكة الإنترنت بما لديها من خدمات تعليمية. وأهمية توسيع البرامج الحالية للتعليم عن بعد في الجامعات العربية الحكومية والاستفادة من خدمات المعلومات المقدمة عبر الإنترنت حتى تلبي احتياجات طلبتها وتواكب الجديد في تلك التقنيات.

المصادر العربية

فرجاني، نادر (1998) مساهمة التعليم العالي في التنمية في البلدان العربية. المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي. بيروت، مكتب اليونيسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية.

الفنتوخ، عبدالقادر (1998) الإنترنت في التعليم : مشروع المدرسة الالكترونية : الرياض، المملكة العربية السعودية.

المنيع، محمد (2001) تطوير مؤسسات التعليم العالي الحكومية والأهلية في المملكة العربية السعودية باستخدام نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد : الجامعة العربية المفتوحة كنموذج. ندوة التعليم العالي الأهلي في المملكة العربية السعودية. الرياض، جامعة الملك سعود.

موقع جامعة القدس المفتوحة www.qou.edu

المصادر الأجنبية

Akkad, L , (1982) the arab satellite and the poen learning, cairo Dar El-Fekr El- Arabi

Al – Humaidy, A, (1986). Guide gines tor Establishing An Open Unversity in the Arab Gulf states, Disertation, Michigan state Unibersity, U.S.A

Jamioom,s. (1980). Uses of Media communication for Off- Campus Non-Traditional Higher Educaton studies in the Kingdom of Saudi Arabia, ph. D. Dissertation, Claremont University,1980

Jonassen, D.H. (1992). applications and limitations of hypetext technology for Distance learning. Paper. presented at the Distance Learning Workshop, Armstrong Laboratory, san Antonio, TX

Keegan, D.(1986). The foundations of distance education. London: Croom Helm

Perraton, H. (1988). A theory for distance education. In D. sewart, D. Keegan,& B. Holmberg (Ed.).Distance education: International perspectives (pp. 34-45) New York: Routledge

UNESCO Website http:// www. unesco.org/ doha/coun